كأنّي غريبك بين النّساء

شوقي بزيع

يدكِ الأرض،
رابضةٌ منذ أكثر من صخرةٍ فوق صدري
وطافيةٌ كالزّمان على قُبَلي الخاسرهْ
تتجلّيْنَ لي
كمآذن مضمومة حولها قبضةُ الرّيح
أو كبلادٍ تضيء لها كالسماوات
أطيافُك الغابره
تتجلّين لي
مثلما يتجلّى الكسوفُ على جبلٍ شاهقٍ
أو كعاصفةٍ تتواجهُ مع نفسها
في خريفٍ بلا شرفاتٍ
لكي أتنسّم تفّاحكِ الدّنيويّ
كما يتنسَّمُ وردُ المقابرِ رائحة الآخره
وتحلّين في كلّ شيءٍ أراه
وفي ما يلي كلَّ شيءٍ
وما يتراءى وراء الهضابِ البعيدةِ
من فضلاتِ الغروب
ومن لمعان الشّموس على ذَهَبِ الأديره.

لكثرةِ ما أشتهيكِ
أحسُّ بأنّ الفضاء قليلٌ عليّ
أما كان يمكنُ أن تمنحيني المزيد من الوقت
كي نتبنَّى ذرىً نتنادى على جانبيها
كنهرينِ في الرّيح،
أو تُنقصي من شحوبي قليلاً
ليتَّضح الفرقُ بيني وبين السُّحُبْ.

لكثرةِ ما أشتهيكِ
أحسُّ، إذا ما رحلتِ، بأنّ سكاكينَ هوجاءَ
ترمقني من أعالي الفراق
وأنَّ سماءً مُحَدَّبَةَ النّصل
تعوي على ساعديَّ
كما تُعولُ الرّيحُ في ظلمة الأقبيه.

لكثرة ما أشتهيكِ
يخيَّل لي أنّني لست إلاّ انعكاساً
لما يتشكّل في النّومِ

أو في النّجومِ على صورتكْ
وأنّي الغيومُ الّتي تتلبّد فوق جبينكِ حين تنامين
حيث تمرُّ السّماء منكّسةً نهدها
فوق بدر اشتهائي المبلّلِ بالشّوقِ.

أيّتها القبلة الدّائمه
للشفاهِ الّتي تتلامسُ فوق الأسرَّةِ،
ماذا أسمّيكِ؟
في أيِّ صحراء أودعُ، من غير صوتكِ
أصدائيَ الموحشه
وها إنّني لا أرى في الأماكنِ
إلّا شغور الأماكنِ منكِ،
وفي الوقتِ إلّا خلوَّ الدّقائقِ
من زمنٍ أنتِ فيه،
وفي اللّيل إلّا صراخَ الظّلالِ
الّتي لا يساندها صدركِ المنتفضْ
كأنّي أرى من كواكب أخرى
ارتجافَ الجذورِ الّتي تتشابكُ في راحتيكِ،
كأنّي أرى قطعاً من بلابل عمياء
تصدح فوق الصّباح الّذي تومئين إليه،
الصّباح الّذي يستحيلُ سنونوةً
حينما تنهضين من النّوم،
أو غابةً من ملائكةٍ
حينما يتبادل نهداكِ خبزهما في الغيوم الأخيره.

أنتِ ما ترغب الرّوح في قولهِ
قبل أن تهجر الأرض،
أنتِ الغياب الّذي يتجمّع في رعشةٍ
والنّداءُ الأخيرُ لسنبلةٍ راحله.
بماذا أواجه هذا الحنين
إلى كلِّ شيءٍ تحدِّق عيناكِ فيه،
إلى كلِّ ما يتشمَّمُهُ دمكِ المتشبِّث
مثل الأظافر بي،
وبأيِّ السّهام أردُّ الكوابيس عنّي
إذا أنشب الشّوق فيَّ مخالبه الزُّرق،
أو قاسمتْني الوسائد حصّتها من شهيقِ المصابيح

خلف ضفائرك الغاربـه؟
ومن سيفسِّرني حينما تقطعين عليَّ
طريق اللّغه؟
ومن سيؤلّفني حول مجرىً
إذا لم تطوِّق ذراعاكِ
بالياسمينِ المجرَّدِ فوضاي
أو تعصري فوق خرْقة روحي نبيذ العناق؟
أريد المزيد من الأوديه
لكي يتسنّى لصوتكِ أن يتكرَّر
حتّى النّهايةِ بين الهضـاب،
وأريد المزيد من الشُّبُهات
لكي لا تدلّ على ظمأي وردةٌ أو جسدْ.

أنا المتكاثرُ بين مراياكِ
والمتدثِّر فيكِ من البرد
والمتعبِّد تحت الحليب المقدَّسِ في عتم نهديكِ
والمتشرِّد بين الشِّعاب الّتي تتنصَّتُ
من حوضكِ المتشهّى
إلى عسلِ الآلهة،
صاعداً دَرَجَ النّار في قشِّ ثوبكِ
أُجْلي جنوني إلى جهةٍ آمنه
وأرقى إلى حيث يغمضُ ثدياكِ جفنيهما بهدوءٍ
على الطّرق الموصله
إلى قمم الرّوح،
حيث تصبُّ الحياة عناقيدها حول ثغركِ،
حيث يُعِدُّ لك الموتُ تمثالهُ
ويقول: اكسريني
بما ملكتْ راحتاكِ من الخبز والدّم.
ذلك أنّ الهلال الّذي تتحدَّر عيناكِ منهُ
عصيٌّ على الموت،
والشّمس ليست سوى ضيفةٍ عابره
على كتفيكِ اللّذين ينامانِ
في عهدةِ الله.

كم مرَّة ينبغي أن أقول: أحبُّكِ
كيما أهدِّيَ هذي الذّئابَ
الّتي تتنابحُ مع وحشتي
في الطّريقِ إلى دمكِ المترامي.
كأنّي غريبكِ بين النّساء
أفتِّش عمّا يوحِّدني في مصبٍّ
وأبحث عن حائطٍ في غيابكِ
كيما أبادلهُ بانهدامي

. . . .

. . . .

غداً حينما تختفي قبلاتي من الأرضِ
أو تمَّحي خطواتي عن الأرصفه،
غداً حين ينغلق البابُ
خلف الشّقاءِ الّذي كان يصنع من شَهَقَاتي
حفيفاً لأوارقهِ،
ستصيخين لي
لشفاهي الّتي تتمزَّقُ أشجارُها
في الطّريق إلى فمكِ المرتعشْ
وترين اشتهائي الّذي يتفتَّح بين ذراعيكِ
كالجنّة المرجأهْ
ربّما لن تكون هناك رياحٌ
لكي تتعهَّد ذكراكِ،
لكنّني - ربّما بدمٍ آخرٍ أو أصابع أخرى -
سأمضي وحيداً
إلى حيث ترقدُ في الصّمت
أزهارُكِ المطفأه.

بيروت